

مجلة علم النفس التطبيقي
قسم علم النفس - كلية الآداب، جامعة المنوفية

إعادة تأهيل السجناء: أهميته وأساسه العامة

إعداد

أ.د. / عبد المنعم شحاته

قسم علم النفس، كلية الآداب، جامعة المنوفية

يناير ٢٠٢٥ م

العدد (٤)

المجلد (٣)

إعادة تأهيل السجناء : أهميته وأسسها العامة

إعداد

أ.د. / عبد المنعم شحاته

قسم عم النفس، كلية الآداب، جامعة المنوفية

ملخص

يعرض هذا المقال مخاطر العقوبة سالبة الحرية صحيا ونفسيا واجتماعيا واقتصاديا، وتطور مفهوم تأهيل السجناء، وعلاقته بمفاهيم تتداخل معه. كما يعرض النماذج النظرية التي تأسس عليها والمبادئ الموجهة له ومنها: اعادة تشكيل عادات السجناء بتنشيط دافعيتهم للتغيير، والتمييز بين فئاتهم واختيار ما يناسبها من برامج التأهيل والأخلاقيات الحاكمة لممارستها.

كلمات مفتاحية: عود للجريمة - ابتعاد عن الجريمة - اعادة تأهيل سجناء - اعادة الدمج الاجتماعي.

مقدمة

لاحظ "سراتو" Cerrato (٢٠٢٤) - وعمل ضابطا بالسجون لعدة عقود - فشل المؤسسات العقابية في تحقيق رسالتها، لكونها ترى نجاحها في طاعة السجناء المطلقة لأوامر ادارة السجن بغض النظر عن قانونيتها أو عدمه. وتتفق تشريعات دول العالم كله على أن العقوبة سالبة الحرية جزاء أساسي، وأن السجن كمؤسسة عقابية واصلاحية هو المكان الأكثر شيوعا لتنفيذها. يشير سلب الحرية إلى حجز المحكوم عليه في مكان، ومنعه من التصرف في نفسه، هذه العقوبة في القانون المصري نوعان:-

- الحبس: وضع المحكوم عليه بمدة لا تقل عن ٢٤ ساعة ولا تزيد عن ثلاث سنوات في سجن مركزي، وأجاز القانون للمحكوم عليه بالحبس مدة أقل من ستة أشهر أن يطلب

استبدالها بتشغيله خارج السجن وفقا لضوابط الاجراءات الجنائية مالم ينص الحكم على حرمانه من هذا البديل.

- السجن: وضع المحكوم عليه بمدة لا تقل عن ثلاث سنوات ولا تزيد عن خمس عشرة سنة في أحد السجون العمومية، وتشغيله داخل السجن أو خارجه في أعمال تحددها الحكومة. رأى باحثون غربيون كثر أن البشرية عرفت السجون في القرن الثامن عشرة الميلادي (Gomes & Rocker, 2024, 5)، لكن المصريين القدماء عرفوه كما ورد في قصة يوسف عليه وعلى نبينا السلام (الآيات: ٢٥، ٣٢، ٣٥، ٤٢ من سورة يوسف). وتاريخيا استخدم الحبس لتحقيق أربعة أهداف: معاقبة الجاني - وردعه هو وأمثاله - وحماية الجمهور بتقييد حريته - وإعادة تأهيله لإعادة دمجه في المجتمع، لكن الحبس فشل في تحقيق أي منها، بل وجهت انتقادات عدة للعقوبات سالبة الحرية بسبب عواقبها السلبية العديدة (Jones, 2014)، والتي تعد عوامل خطر للعود للجريمة، على رأسها:-

١- عدد المسجونين حول العالم في ازدياد مطرد، على سبيل المثال زاد عدد السجناء بالولايات المتحدة ٦٢٩٪ سنة ٢٠٠٥ بالمقارنة به عام ١٩٧٠ (المرجع نفسه)، وعلى مستوى العالم زاد العدد عام ٢٠٢٢ بنسبة ٢٤٪ عنه عام ٢٠٠٠، وغالبية السجناء ذكور، بمعدل ١٤ سجين مقابل سجينه واحدة، لكن معدل الزيادة بين الإناث أعلى كثيرا منه بين الذكور (٦٠٪ مقابل ٢٢٪). كما أن ٢٣ مليون طفل حول العالم يعاني من السجن، ف٢٢.٥ مليون تأثر بسجن أحد والديه، وأكثر من ١٩ ألف طفل يعيش مع أمه المسجونة، وأكثر من ٢٦١ ألف طفل يمضي عقوبة جنائية (Global Prison Trends 2023). وهذه الزيادة مؤشر فشل السجون في تحقيق رسالتها، لهذا الفشل أسباب عدة أبرزها:-

- الاساءة للسجين سواء من سلطة السجن أو من نزلائه وتشمل: الحرمان من النوم، ورفض الرعاية الصحية، والاذلال وانتهاك العرض، والانتزاع القسري للمعلومات، وإيذاء أفراد أسرته

... وما شابه. يعد سجن أبو غريب و"جوانتانامو" مثالا لممارسات أفراد الجيش الأمريكي في التعذيب والانتهاك الجنسي وانتزاع معلومات قسريا، حتى أن جمعية علماء النفس الأمريكيين أصدرت بيانا ٢٠٠٧ منعت فيه استخدام ١٩ اسلوبا من أساليب الاستجواب تؤذي السجناء نفسيا وجسما (VandenBos, 2015, 835).

- الممارسات التمييزية داخل السجن والتي تزيد كلما طالت مدته، على سبيل المثال هناك زيادة في تركيز برامج اعادة التأهيل على مجموعات محددة من المسجونين كالمدانين بالتطرف العنيف، والمرتبطين بالجريمة المنظمة، والمدانين بالاعتصاب. لعل السبب راجع لأمرين أحدهما أنها جرائم تجذب انتباه الاعلام بشكل مكثف، والأمر الثاني أن معدل عود المدانين بها هو الأكثر ارتفاعا (Zatkin, et al, 2021)، مع هذا تفتقد هذه البرامج مؤشرات التحقق من مدى فعاليتها. وفي هذا السياق، يعطي الاتحاد الأوروبي الأولوية لتطوير منهجية ذات معايير ومؤشرات مشتركة لتقييم فعالية برامج إعادة الإدماج ضمن برنامج جديد حول "السجون والتطرف وإعادة التأهيل وإعادة الإدماج". تشير دراسة نُشرت مؤخرا إلى برامج فعالة في سريلانكا والمملكة العربية السعودية وباكستان وكازاخستان وتونس وأوغندا، إلا أنها تفتقد قاعدة أدلة داعمة للتدخلات التي تستهدف المتطرفين، مع ذلك أدى تحسين مهارات إدارات السجون لتقييم المخاطر والاحتياجات بشكل فردي إلى زيادة كفاءة إعادة الإدماج الاجتماعي (Global Prison Trends 2023).

- زيادة الزحام التي تسبب ضررا ضخما (نسبة الأشغال ١٠٠٪ في ١٢٠ دولة، و ٢٥٠٪ في ١٥ دولة، بزيادة ٤٪ عن ٢٠٢١)، مما أدى إلى زيادة كلفة السجن اقتصاديا، وما نتج عنه من عدم كفاية الاعاشة (غذاء وتنقلات ورعاية صحية أولية) (Global Prison Trends 2023).

- معاناة أسر السجنين، وتشمل مشقة بدنية نتيجة زيارته، وتكلفة مالية للانتقالات خلالها، وخسارة اقتصادية بسبب فقدان دخله لحبسه، وضغوطا نفسية مصدرها الحرمان منه، ولهذه الضغوط عواقب وخيمة على الأسرة ككل، والزوجة والأبناء منها بصفة خاصة.
- ضعف المنظومة الصحية داخل السجون في ظل كل من:- ندرة كوادر الرعاية الصحية داخلها، وارتفاع معدل العدوى بأمراض جسمية بين المساجين مقارنةً بالجمهور العام، إذ كشف تحليل لاحق لنتائج الدراسات التي أجريت فيما بين ٢٠٠٢ و ٢٠٢٣ أن معدل الإصابة بفيروس س تقترب من ١٨٪، وفيروس ب ٥٪، وفيروس الورم الحليمي papillomavirus ٣٠٪، و"كلاميديا" Chlamydia ٩٪. كذلك تقدر منظمة الصحة العالمية أن بكتيريا السل، سبب وحيد لمرض السل الرئوي، وظروف السجن مثل الازدحام ونقص التهوية وسوء التغذية وضعف الرعاية الصحية ترفع احتمالات عدوى مرض السل الرئوي.
- معدل الإصابة باضطرابات نفسية بين السجناء أعلى، فمعدل انتشار الاكتئاب الكبير ١١٪، واضطراب ما بعد الصدمة ١٠٪، والذهان ٤٪، واضطراب الشخصية المضادة للمجتمع ٤٠٪، واضطراب الشخصية الحدية ٢٣٪، وتعاطي الكحوليات قبل الايداع بالسجن ٢٤٪، وتعاطي المخدرات ٣٩٪. وفيما بين السجناء فإن الإناث أعلى بشكل دال من الذكور في الذهان والاكتئاب واضطراب ما بعد الصدمة وتعاطي المخدرات، بينما الذكور أعلى منهم في اضطراب الشخصية المضادة للمجتمع وتعاطي الكحوليات (Favril, et al., 2024). وتبين أيضا أن معدل انتشار اضطراب تعاطي المخدرات بين نزلاء سجون دول شمال أوروبا أعلى منه بين سكانها خلال الفترة من ٢٠١٠ إلى ٢٠١٩، ففي النرويج ٤٤٪ وفي كل من الدنمارك والسويد ٤٠٪ (Bukten, et al, 2024).

ووفقا لتقارير صادرة من ٧٨ دولة فيما بين ٢٠٠٠ و ٢٠٢١ فإن معدل الانتحار بين السجناء أعلى منه بين الجمهور العام، بل وسجل ارتفاعا ملفتا، ويتباين ارتفاعه وفقا للنوع ومستوى الدخل القومي، إذ أعلى بشكل دال بين الاناث والدول الغنية مقارنة بالذكور والدول المتوسطة والفقيرة (Mundt, et al., 2024). وتتبع Rodríguez-Lirón وزملاؤه (٢٠٢٤) ٦٨ سجينا و ٢٩ سجينة لمدة ٦ سنوات، تبين فيها أن معدل الانتحار بين السجينات ثلاثة أضعاف بين السجناء، وتسعة أضعاف معدله بين الجمهور العام.

- بروز جماعات فرعية داخل السجن توفر الحماية، حيث تتكون عصابات تسيطر على مرافقه بدرجات متفاوتة في عدد كبير من البلدان، وترتبط الثقافات الفرعية الإجرامية في السجون بالعنف والفساد والجريمة المنظمة؛ ويساعد على انشائها واستمرارها كل من الاكتظاظ، وعدم الحصول على الضروريات الأساسية، وعدم كفاية الموظفين، وغياب الحكم الرشيد (Global Prison Trends 2023).

٢- لعقوبة السجن آثار نفسية سلبية خطيرة، تطال ليس نزلاء السجون فحسب، بل تطال أيضا كل من يقيم قسرا في مكان يحد حريته لفترة زمنية طويلة كالسجون واصلاحيات الجانحين والمستشفيات والمعسكرات طويلة الأمد، تحدث للفرد أثارا سلبية، بعضها بسبب الحرمان الحسي الناتج عن رتابة التنبيهات وافتقارها. فالعزلة عن المجتمع لفترة زمنية - قصيرة أو طويلة الأمد - تؤدي إلى ضرر شخصي واجتماعي لا يمكن إصلاحه (Jones, 2014). أبرز هذه الآثار "ذهان السجن" أو "عته الشيخوخة الكاذب" pseudodementia أو زملة أعراض Ganser نسبةً إلى أول من وصفها وهو الطبيب الألماني "سيجبرت جانسر" ١٨٩٨، وتصف حالة انفصال يحاكي الاضطراب الذهاني نتيجة جهد غير واعي من جانب الفرد للهروب من موقف لا يطاق، أبرز أعراضها اعطاء اجابات خاطئة لأسئلة مألوفة مثل للحصان خمسة أرجل و ٧=٣+٣، وأعراضها الأخرى هي غياب الوعي وعدم

الانتباه والنعاس وفقدان ذاكرة الأحداث القريبة (VandenBos, 2015, 447). من بين أسبابها التعذيب وسوء المعاملة، إذ تشير تقارير إلى استمرار استخدامهما في غالبية السجون، وإلى عدم كفاية الاستجابة أو غيابها للحالات التي يتم الكشف عنها، كما يتم استخدام الحبس الانفرادي بشكل مفرط، وهو إجراء يتسبب في ضرر نفسي عصي إصلاحه (Global Prison Trends 2023).

وتمتد هذه الآثار النفسية السلبية لما بعد الخروج من السجن، حيث أشار DeLisi ٢٠١٦ أن حوالي ٣٠ مليون سجين حول العالم يغادرون السجن سنويا، كشفت نتائج عدة دراسات أن معدل انتشار الذهان أو الفصام أو اضطراب ما بعد الصدمة أو فرط النشاط المصحوب بـ قصور الانتباه أو اضطراب الشخصية أو القلق أو الاكتئاب أو محاولة الانتحار أو الاعتماد على المخدرات ضعفي معدله بين الجمهور العام، وحتى أعلى من معدله بينهم قبل ايداعهم السجن (Liu, et al., 2023).

٣- معدل العود (الانتكاس) criminal recidivism لمن سبق سجنهم، على سبيل المثال تم تتبع ٤٠٤٦٣٨ مفرج عنه في ٣٠ ولاية أمريكية سنة ٢٠٠٥، أعيد القبض على ٥٨٪ منهم خلال السنة الأولى، زادت النسبة إلى ٦٨٪ في ثلاث سنوات، وأكثر من ٧٦٪ خلال خمس سنوات (Durose, et al., 2014). بمعنى أن ثلاثة من كل أربعة يعاد القبض عليهم خلال خمس سنوات لاحقة على اطلاق سراحهم، غالبيتهم يكون خلال السنة الأولى، الأمر الذي يبرز ضرورة التدخل لتحسين السجناء ضد العود للجريمة (Blonigen, et al, 2024). يدعم هذا اشارة تقارير بدولة جنوب إفريقيا أن ٦٥٪ من المفرج عنهم يعاد القبض عليهم خلال سنتين بعد اطلاق سراح مشروط، معظمهم خلال السنة الأولى، وأجريت دراسة استقصائية على مرتكبي الجرائم المتكررة في مقاطعة ليمبوبو بجنوب أفريقيا، كشفت نتائجها أن أنظمة الدعم الضعيفة من أفراد الأسرة والمجتمع العام تساهم في العودة إلى الإجرام. إذ لاحظ

باحثون أن أفراد الأسر والمجتمع المحلي يواجهان صعوبة في قبول عودة المفرج عنهم، بل يجدون صعوبة في الثقة بهم. وأن اكتظاظ مراكز الإصلاح والتأهيل وانتهاك المفرج عنهم شروط الإفراج يزيد احتمالات العود إلى الجريمة (Muthaphuli & Bello, 2023).

٤- يكون السجن أحيانا سياقاً لتعلم ممارسة ناجحة لجرائم أكثر خطورة كالإرهاب، إذ أشارت تقارير أن ٢٥٪ من الإرهابيين المودعين بالسجون الأوروبية لهم سجل إجرامي، وأن ٥٠٪ من المقاتلين الأجانب في التنظيمات المتشددة هم جنائيون معروفون للدوليس (Rushchenko, 2018, 7). مما جعل البعض يصف بيئة السجن بأنها توجه نزلاءه نحو جرائم أخطر، فعندما يتم وضع مجرمين أقل خطراً مع مجرمين أعلى خطراً ستنتقل خبرات الأخير إلى الأول لدرجة أن الإثنين يتشابهان بشكل ملحوظ عند إطلاق سراحهما، فالسجون بمثابة مدارس لمجرمين قليلي الخبرة يتعلمون فيها الوسائل اللازمة لارتكاب جرائم أكثر خطورة (Jones, 2014).

٥- ارتفاع التكلفة الاقتصادية للحبس، فعلى سبيل المثال فقد زادت في الولايات المتحدة سنة ٢٠٠٠ بمقدار ٤٠٠٪ مقارنة بالعام ١٩٨٠ (Jones, 2014)، وتقدر دراسات أخرى هذه الزيادة بمقدار ٧٠٠٪ سنة ٢٠١٠ بالمقارنة بالعام ١٩٧٠، حيث كلفة سجين واحد تزيد عن ٣١ ألف دولار سنوياً (Carmean, et al., 2019). كما أشارت بيانات أن حكومة كندا تتحمل يومياً ٣١٨ دولار كندي مقابل حبس شخص واحد (Malakieh, 2020)، مثال آخر من أستونيا حيث حبس فرد واحد يكلف ١٤١٧ يورو شهرياً وهو ما يمثل ٢٥ ضعف تكلفة معاقبته بعقوبة بديلة (٥٢ يورو) (kulud, 2018).

ترتب على ما سبق ضرورة إعادة النظر في الحبس كعقاب، فالعقوبة كما عرفها ابن همام الحنفي - ولد بالأسكندرية ١٤٣٦م وتوفي ١٥٠٨م - "موانع قبل الفعل، زواج بعده"، بمعنى

العلم بها يمنع الاقدام عليه، وإيقاعها يمنع العود إليه (عبد الله ومبارك، ٢٠١٩). لتحقيق هذا الهدف بدأ التفكير في بدائل الحبس، فجربت ولاية "ماين" Maine - شمال شرق أمريكا - برنامج "محاكم الصحة العقلية" لتقليل تكلفة الحبس طويل المدة، وحقق نجاحا جزئيا في خفض العود، وفي سنة ١٩٨٧ اتبعت ولاية "كونتيكت" برنامجا بديلا للحبس أدى إلى خفض ٨٠٪ من تكلفة السجن الواحد، من ٢٥ ألف دولار إلى خمسة آلاف (Jones, 2014).

وفي هذا الصدد أصدرت دول عدة قوانين تنظم الخدمة المجتمعية كعقوبة بديلة للحبس قصير المدة، تتمثل في حرمان المحكوم عليه من الاستمتاع بأوقات فراغه للشعور بألم الجزاء، ومساعدته على تعميق احساسه بالمسئولية، بالزامه - بعد أخذ موافقته قبل تضمينها الحكم القضائي - بعمل مفيد دون أجر لصالح هيئة أو جمعية ولمدة معينة تقررها المحكمة، جدير بالإشارة أن بداية هذه العقوبة دون اسمها كانت سنة ٦٢٢م، حين طلب النبي صلى الله عليه وسلم من أسرى غزوة بدر تعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة كعمل نافع للمجتمع المسلم بديلا للقدية أو الحبس (الرواشدة، ٢٠٢١).

لهذه العقوبة مزايا تأهيلية وصحية واجتماعية عديدة منها:-

- تفريدها بما يناسب ظروف المحكوم عليه وفقا لعمره وخبراته وما شابه.
- تجنب المحكوم عليه مساوئ العقوبة سالبة الحرية، كالعدوى بأمراض مختلفة نتيجة ازدحام السجن وظروف التهوية والحركة وما شابه.
- تقلل الاحساس بالوصم.
- تحقق هدف العقاب وهو تأهيل الجناة، وتقلل احتمالات العود للجريمة، وتخفف تكديس السجون، وتوازن بين العقاب والاندماج الاجتماعي.
- للعقوبة نزعة انسانية، لأنها ليس فحسب تحفظ كرامة المحكوم عليه، بل تعزز أيضا ثقته في نفسه وبأهمية مشاركته للمجتمع.

- تعد أكثر اقتصادا بتوفيرها نفقات عقوبة المحكوم عليهم، إضافة إلى الاستفادة الاقتصادية من قدرات وخبرات المحكوم عليهم، وتعزيز مشاركة المجتمع في مكافحة الجريمة.
- تقلل احتمالات التفكك الأسري ببقاء المحكوم عليهم خارج السجن بما يسمح لهم برعاية أطفالهم مما يقلل احتمالات تشردهم (الرواشدة، ٢٠٢١).

مع هذه المزايا إلا أن بدائل الحبس لم تؤدي إلى تقليل أعداد المساجين، أضف إلى هذا ندرة البحوث التي تناولت فعاليتها، على سبيل المثال توصل بحث أجرى في أيرلندا إلى صعوبة تحسينها لندرة البيانات عن عددها ونوعها ومدى استيعابها، لذا أعلنت سلطات سنغافورة في عام ٢٠٢٣ أنه سيتم إطلاق دراسة قريبا لفهم فعالية الأحكام المجتمعية بشكل أفضل، بما في ذلك ما يتعلق بإعادة ارتكاب الجرائم، والتي تشير تقارير إلى انخفاضها منذ التوسع في الأحكام المجتمعية (Global Prison Trends 2023).

ونظرا لأن هذه العقوبات تكون بديلة فقط للحبس قصير المدة، وحتى في هذه الحال فإن استخدامها نادر، وأن عقوبة الايداع بالسجن الأكثر شيوعا في النظم العقابية بكل دول العالم، وهي عقوبة يصاحبها وينتج عنها مخاطر سلبية على الجناة وأسرههم والمجتمع ككل كما تبين أنفا، وتقليلاً لهذه المخاطر يجب تأهيل السجناء وفعاليتها.

أهمية تأهيل المسجونين

- علم نفس التأهيل rehabilitation أحد فروع علم النفس التطبيقية المهمة، هدفه الرئيس تطبيق المعرفة النفسية في علاج الاضطرابات والانحرافات السلوكية والوقاية منها، يعمل اختصاصيوه ضمن فريق بالمستشفيات ودور الرعاية والسجون وغيرها مما يهتم بمساعدة أفراد على تحقيق استقلالهم الأمثل جسديا ونفسيا وشخصيا. يشمل فريق التأهيل غالبا متخصص في كل من:
- علم نفس التأهيل تدرب على ممارسة الارشاد التأهيلي المعني بتقديم خدمات تلبي احتياجات الأفراد في مجالات حياتية مختلفة.

- هندسة التأهيل المعني بتصميم منتجات وعمليات وبيئات تحسّن جودة حياة الأفراد.
 - الطب التأهيلي بفروعه كالعلاج الطبيعي والطب النفسي والعصبي وغيرها (VandenBos, 2015, 897).
 - متخصص في الخدمة الاجتماعية، وأي مجال آخر يتطلب وجوده تأهيل فرد بعينه.
- تأهيل المسجونين مجال مهم من مجالات علم نفس التأهيل، تتبثق أهميته من فلسفة العقاب، وهي مكافحة السلوك الاجرامي لانقاص معدله إلى الحد الأدنى، ومنع تكراره ممن تورط فيه. والسؤال هو لماذا يتورط البعض في الجريمة؟، إجابة هذا السؤال نقطة البدء في محاولة فهم السلوك الإجرامي حتى يمكن التنبؤ بفنتين من الأفراد:- من يعاني هشاشة ترفع احتمالات ارتكابه سلوك اجرامي، وهذا مجال الوقاية من الجريمة بمنع حدوثها ابتداءً - ومن تورطوا فيه للمرة الأولى وهناك احتمال العود recidivism بعد معاقبته، وهذا مجال تأهيل المسجونين، ويقصد بالتأهيل عملية الوصول بالفرد إلى حالة صحية واستعادة استقلاله ورفاهه ومستوى أدائه إلى أقصى درجة ممكنة بعد الإصابة أو الإعاقة أو الاضطراب أو الانحراف. ويتضمن توفير الموارد المناسبة، مثل العلاج أو التدريب، لتمكين الشخص من إعادة تطوير مهاراته وقدراته أو تعويض خسارتها (VandenBos, 2015, 897). معنى هذا أن تأهيل سجين هو احداث تغيير ايجابي لديه بهدف وقايته من العود لممارسة الجريمة بعد خروجه من السجن.
- وبالإشارة للسؤال المطروح: لماذا يتورط البعض في الجريمة؟، توجد تفسيرات عديدة كإجابة عنه؛ يعكس كل منها توجه مقدمها العلمي، فعلي سبيل المثال يركز التفسير الاجتماعي علي الظروف الاجتماعية للمجتمع المحلي الذي نشأ ويقوم فيه المجرم مما يوفر فرصا مناسبة لإرتكاب الجريمة، في المقابل يركز التفسير النفسي علي عوامل داخل الفرد كخصال شخصيته تجعله أكثر إقداما علي سلوك إجرامي.

ومع قيمة تكامل كلا التفسيرين، حيث لا ترجع الجريمة إلى عامل واحد فقط بل إلى عوامل عدة - منها العضوي والنفسي والاجتماعي والاقتصادي - تتبادل التأثير والتأثر؛ إلا أن أي تفسير يجب أن يبدأ برصد اقتران عامل معين بالتورط في سلوك إجرامي أو تقدير كونه يزيد هشاشة الفرد، بمعنى أنه عامل خطر تركز برامج التأهيل على انقاص اسهامه في سلوك الفرد إلى أدنى تأثير ممكن.

إن تأهيل المسجونين أمر يستحق الانتباه والاهتمام على المستويين الأكاديمي والتنفيذي، ويصبح أكثر إلحاحاً في ضوء غياب اهتمام الباحثين وواضعي سياسات مناهضة الجريمة به، على سبيل المثال نشرت مجلة "علم الجريمة والسياسة العامة" *Criminology & Public Policy* خلال العقد الأول من الألفية الثالثة (٢٠٠١-٢٠١٠) ١٤٨ بحثاً، ناقش ٤٢٪ منها سياسات تطبق صوراً للإكراه *coercion*، و ١٩٪ سياسات تستخدم مع جناة نشطين محتملين، واهتم ٨٪ فقط بطرق منع فرص جنائية، وفحص ٣١٪ أموراً إدارية كوجهات نظر علماء الجريمة في تقنيات مستحدثة وأوصافهم للسلوك الإجرامي؛ وبإستعراض ما نشر بمجلة "مراجعة سياسة العدالة الجنائية" *Criminal Justice Policy Review* تم التوصل لنتائج مماثلة (Eck. & Eck, 2012).

أضف إلى ذلك ميل عام يتمثل في الاعتقاد أن منع افلات مجرم من العدالة أهم من اصلاحها، لذا تذهب غالبية ميزانية السجون إلى حفظ الأمن ومنع الهروب، ولا يخصص منها لمتطلبات التأهيل وإعادة التكامل إلا القليل (Syrbé, 2020)، هذا الاعتقاد يجعل منفذي السياسات العقابية لا يدركون أن الاصلاح أنجح وسيلة للمنع (Rude & Shaddy, 2024).

مع ذلك يظل الاهتمام بتأهيل المسجونين أمراً حيويًا، ففي ثلاثينيات القرن العشرين حتى ستينياته انصب اهتمام الباحثين بتفسير تورط أفراد في ارتكاب جرائم، وفي تسعينياته انتهت الدول الغربية كالولايات المتحدة والمملكة المتحدة إلى ضرورة تأهيلهم، كانت البداية بحوث تركز على تقدير مدى توقف مجرمين عن ارتكاب الجرائم، تلاه الاهتمام بمعرفة لماذا وكيف

يتم هذا التوقف، ومؤخرا قفز سؤال إلى ذهن الباحثين مؤداه: ما نوعية أساليب الحياة التي يجب على مجرمين سابقين أن يطوروها بعد توقفهم عن ارتكاب الجريمة؟، بمعنى آخر ضرورة تعزيز البحوث التي تتناول كيفية تشجيعهم على التوقف desistance بوصفها ترتبط بعمليات تغيير داخل الفرد تشمل منظومته القيمية التي تحدد أولوياته وازعانه للقانون، تغييرا يعكسه كل من اعادة بناء القائم به مفهومه عن ذاته، وارتباطه بمؤسسات اجتماعية كالأسرة والعمل. ولتحقيق هذا يجب أولا تعليمه تغيير أساليب حياته اليومية وأنشطته الروتينية حتى يستعيد توافقه، وثانيا تعليمه قيم ومهارات استعادة التوافق بعد الخروج من السجن حتى يمكنه الابتعاد عن الجريمة، ويجب التعامل مع هذه الاستعادة كشأن صحي عام، فالتعامل معها وفق هذا المنظور مسألة مهمة، ربما سبب غموض وتعارض مسئوليات المؤسسات المعنية بها (Gray & Farrall, 2024).

التطور السابق لم يكن فحسب لضرورة أيديولوجية واقتصادية وخفض كثافة السجنون (Mahoney & Chowdhury, 2024)، بل أيضا لسبب شديد البساطة، هو رسالة السجنون بوصفها وسيلة تقويم سلوك السجنين الاجرامي وانقاص احتمالات تكراره بعد انتهاء العقوبة، ويكون عبرة لغيره من الطلقاء، والسؤال الذي يطرح نفسه على الذهن: هل يحقق السجن رسالته هذه؟.

الاجابة وببساطة أيضا: لا، إذ تعرقل فترات السجن عملية التغيير المطلوب للتوقف عن الجريمة (Gray & Farrall, 2024)، كما أن للسجن آثاره السلبية على الأفراد والأسر والمجتمعات، لذا بدأت تعلق صيحات إلغاء السجنون، وإيجاد طرق لإعادة تصور العدالة خارج أسوارها (Gomes & Rocker, 2024, 13)، أو اعادة النظر في ملاءمته لفئات بعينها والبحث عن وسائل تجعل العقوبة تحقق أهدافها دون آثار سلبية.

أسس تأهيل المسجونين

غالبية المحكوم عليهم بالسجن سيفرج عنهم بعد اكتمال مدته، ومن ثمة يعودون إلى مجتمعهم المحلي، ويمثل إعادة ادماجهم فيه بفعالية تحديًا هائلًا لأنظمة العدالة على مستوى العالم، إذ تقابله حواجز متعددة كالوصمة الاجتماعية، وفقدان سبل العيش، ومحدودية الوصول إلى الرعاية الصحية والتعليم والعمل، مما يفاقم ضغوط المعيشة، والنتيجة أنهم يقعون في فخ دائرة ارتكاب الجرائم مرة أخرى (Sanjanaa, et al., 2024). أضف إليها ندرة توعيتهم بالمطلوب منهم في فترة المراقبة، ففي إنجلترا وويلز لم يلتق بضابط المراقبة قبل إطلاق سراحهم إلا واحدًا من كل خمسة يستعدون لمغادرة السجن (Mahoney & Chowdhury, 2024).

كما سبقت الإشارة فإن جوهر تأهيل المسجونين هو أحداث تغيير ايجابي أو إعادة تشكيل عاداتهم، والعادات يتم اكتسابها عبر محاولات واعية دؤوبة effortful، والوعي أن يفعل الفرد شيئًا يرغبه ويجتهد في ذلك، نجاح فعله يعد مهارة، وتكراره يعد عادة أي أدائه دون وعي أو آليا، ويسرّع هذا التحول - من فعل واع إلى آلي، أو المهارة إلى عادة - كون الفعل موجه لهدف. لهذا التحول أساسه العصبي، إذ منطقة "العقد القاعدية" basal ganglia بالمخ مسؤولة عن تكوين العادة، يتم ذلك بواسطة مسارين متميزين لكنهما متداخلين أحدهما ترابطي associative حيث جمع معلومات عن وسائل الوصول للهدف، والثاني آلي automatic حيث الاستفادة من تتابع أفعال سبق تعلمها خلال المسار الأول (Yin & Knowlton, 2006). اكتشف علماء الأعصاب أنه أثناء ممارسة فعل اعتيادي تنشط في البداية بعض "العقد القاعدية"، ثم تهدأ خلال استمرار الممارسة، وتنشط مرةً أخرى عند اكتمالها (Martiros, Burgess & Graybiel, 2018)، ووجدت "وندي وود" Wood وزملاؤها (٢٠٠٢) أن ٤٣٪ من أنشطة المشاركين في دراستها يتم أدائها اعتياديا.

يبدأ إذن تشكيل العادة بتحويل فعل واعٍ إلى ممارسة اعتيادية، يتطلب هذا التحول تكرار الفعل بشكل مبرمج، بمعنى أن يؤديه الفرد عدة مرات يوميا وفق جدول محدد لفترة طويلة نسبيا، فعلى سبيل المثال كشفت دراسة أن ترسيخ عادة صحية جديدة كممارسة الرياضة تتطلب

تمرينا مدته ٣٠ دقيقة على مدى ٦٦ يوما (Lally, van Jaarsveld, Potts & Wardle, 2010)، تزيد هذه الفترة أو تقل في ضوء عوامل كالتعزيز الايجابي الفعلي أو المتوقع المنشط للدوبامين، والأفكار الداخلية الداعمة للممارسة.

استنادا إلى ما سبق فإن عوامل عدة تجعل مجرد العقوبة غير كاف لمنع العود إلى الجريمة، بعضها أقل قابلية للتغيير تسمى عوامل ثابتة كالتاريخ الاجرامي للفرد وأسرته، ومعتقداته ومواقفه تجاه قضايا حياتية معينة. وبعضها الأخر أكثر قابلية للتغيير تُعرف بالعوامل الدينامية كالحاجات والقيم، فالفرد يختار ارتكاب جريمة جنائية أم لا، وإذا أمكن مساعدته على اتخاذ الخيارات الصحيحة، فسيتم تقليل خطر ارتكاب المزيد من الجرائم (Jones, 2014). وقبل عرض نماذج عامة توجه برامج التأهيل، يجب توضيح الفرق بينه وبين: التعافي والامتناع عن الجريمة ومنع الجريمة والوقاية من الانتكاس والدمج الاجتماعي والتمكين.

يشير التعافي recovery إلى نمط حياة يتم الحفاظ عليه طوعاً، ويتميز بالرصانة والصحة الشخصية والمواطنة، والرصانة sobriety ثلاث مراحل: أولية تستمر سنة بعد انطفاء السلوك المشكل، ومتواصلة تستمر من سنة إلى خمس، ومستقرة لأكثر من خمس سنوات.

أما الابتعاد عن الجريمة desistance فهو العملية التي من خلالها يتوقف شخص لديه تاريخ اجرامي عن ارتكاب الجريمة، ومثلها مثل التعافي ليست عملية سهلة، لأنها دينامية تعد جزءاً من ارتقاء الفرد، لذا تتركز بحوثها في مرحلة المراهقة ونادراً ما تتم دراستها في مراحل الرشد. وللامتناع عن الجريمة مراحل ثلاث: أولية وهي التوقف عن فعل الجريمة، وثانوية وهي عمليات تغيير بموجبها يصبح الفرد غير مجرم، بمعنى لم يعد الاجرام جزءاً من هويته، وامتناع من الدرجة الثالثة وتشير لاعتراف المحيطين به أنه قد تغير (Cambridge et al., 2022, 5-6). وفي ضوء كون تأهيل سجين هو احداث تغيير ايجابي لديه بهدف وقايته من العود لممارسة الجريمة بعد خروجه من السجن، فإنه يقابل المرحلة الثانية من مراحل الابتعاد عن الجريمة.

ويكون منع الجريمة Crime prevention حال عدم تورط أي فرد فيها ابتداءً، ويكون بتنفيذ المجتمع سياسات تربوية واجتماعية واقتصادية تلبي احتياجات أفرادها، على سبيل المثال كشف بحث أجراه معهد سياسات العدالة الأمريكي أن الولايات التي تنفق أكثر على التعليم ينخفض فيها معدل الجريمة بالمقارنة بولايات تنفق أقل (Jones, 2014). كذلك أشارت نتائج بحوث عديدة - استعرضها شحاته (٢٠١٩) - إلى تزايد الأنشطة الاجرامية بمنطقة ما كلما ارتفعت معدلات البطالة بها؛ فبيانات من ٣٣ بلداً أوربيا كشفت أن ارتفاع البطالة ١٪ يصاحبه تزايد معدل الجريمة ٢٪. وتلعب عوامل: عمر العاطل وتعليمه دوراً معدلاً لهذه العلاقة، حيث يزيد اقتران البطالة بالجريمة كلما كان العاطلون أصغر عمراً وأدنى تعليماً. والبطالة والجريمة يتبادلان التأثير، فخفض أحدهما أو ارتفاعه ينقص الآخر أو يزيده، وأن ارتفاع معدل الجريمة بمجتمع ما يؤدي إلى زيادة معدل البطالة؛ إما لأن المتورطين في جرائم لا يفضلون العمل، وإما لأن بعضهم يواجه صعوبات عندما يبحث عن عمل فالغالبية منهم لا يتم قبول الحاقه بعمل.

كما تكون الوقاية من الانتكاس Relapse prevention حال استخدام إجراءات مختلفة لتقليل خطر العود لحالة غير مرغوبة أو مرض أو اضطراب، وتتم بواسطة، على سبيل المثال، تعليم العملاء أو المرضى المهارات المعرفية والسلوكية قبل انتهاء العلاج. وللوقاية من الانتكاس دور خاص في اضطرابات عرفت بارتفاع معدلات الانتكاس كالإدمان والاكنتاب (VandenBos, 2015, 899)، طبقاً لما سبق يماثل العود للجريمة انتكاساً، ويمكن توظيف برامج الوقاية من الانتكاس لانقاص معدلاته.

يمكن فهم إعادة الدمج الاجتماعي Social reintegration قياساً على كون إعادة التكامل عملية إعادة تنظيم العمليات العقلية بعد أن تكون غير منظمة بسبب اضطراب نفسي كالذهان، وبمعنى آخر استعادة الصحة والأداء الطبيعي (VandenBos, 2015, 891)، هذه الاستعادة

تمثل نقطة بدء التكامل الاجتماعي، أي اعتراف المحيطين بالسجين السابق أنه لم يعد مجرماً، وهذا هو الامتناع من الدرجة الثالثة كما سبقت الإشارة.

ويستخدم باحثون مصطلح "العودة أو اعادة الدخول" reentry بمعنى انتقال الفرد من السجن إلى المجتمع، ويتم على ثلاث مراحل: (١) تلقي برامج أثناء السجن تهدف إلى اعداده لاطلاق سراحه؛ (٢) ثم تلقي برامج أثناء فترة اطلاق السراح تساعد في الانتقال من السجن إلى المجتمع؛ و(٣) برامج توفر الدعم والإشراف على الأمد الطويل للدمج الاجتماعي المستدام. أهمية هذه البرامج كما أشارت نتائج الأبحاث تبرزها كون معدل عود المفرج عنهم إلى الجريمة مرتفع، وأن العقوبة وحدها لا تكفي لتغيير حواجز فردية وبنوية يواجهونها منها الوصمة وشبكة العلاقات الاجتماعية، تؤثر هذه الحواجز في مشاركتهم مجدداً في السلوك الاجرامي (Gomes & Rocker, 2024, 5).

ويشير التمكين Empowerment إلى تعزيز المهارات والمعرفة والثقة اللازمة لسيطرة الفرد بشكل أكبر على حياته، ففي العلاج النفسي على سبيل المثال، تتضمن العملية مساعدة العملاء على أن يصبحوا أكثر نشاطاً في تلبية احتياجاتهم وتحقيق رغباتهم، وتهدف إلى زيادة احساسهم بالإنجاز وتحقيق قدراتهم وطموحاتهم. وفي الادارة كمثال آخر تتضمن تفويض صلاحيات متزايدة في اتخاذ القرار للأفراد أو المجموعات في مجتمع أو منظمة (VandenBos, 2015, 367)، ويكون التمكين في تأهيل السجناء عبر اكسابهم مهارات تمكنهم من توفير سبل العيش الكريم للقيام بمسئولياتهم الاجتماعية.

نماذج نظرية لتأهيل المسجونين

قدم علماء الجريمة وعلم النفس عددا من النماذج النظرية التي توجه تصميم برامج التأهيل، يشير النموذج إلى تصور نظري أو أي نوع آخر من تمثيل معرفي لمفهوم أو عمليات سلوكية أو جسدية أساسية مثل: اضطراب، عود للجريمة، تعزز هذه النماذج فهم المفهوم أو العملية،

وتقترح فروضا أو توضح علاقات للتحقق منها، أو تظهر مدى انتشار نمط سلوكي أو وباء (VandenBos, 2015, 661)، ومن النماذج التي ظهرت في مجال تأهيل السجناء:-

١- نموذج الاستجابة للمخاطر والحاجة (RNR) Risk-Need-Responsivity منحي يعزز تغير العميل سواء كان مريضا أو سجيناً، يركز على اتخاذ القرارات من خلال كل من: مساعدته على معرفة عوامل الخطر الأولية والأكثر أهمية - وجمع الأدلة الامبريقية الواجبة لاحداث تغيير بنجاح، هذا النموذج تطبيق عملي لنظرية دعم شخصي وبين شخصي Interpersonal ومجتمعي (PIC-R) Community ، ويعد النموذج الأشهر لتأهيل السجناء على مدى العقود الثلاثة الأخيرة، مصدر شهرته كونه يعتمد على تحديد ما التدخل الفعال وكيف يتم ولمن، مصدر هذا التحديد سجله القوي في التوجيه لأدوات مفيدة وعملية في تقييم الخطر باستخدام معلومات واقعية عن العوامل التي قد ترتبط مستقبلا بجريمة (Serin & Lloyd, 2017).

النقد الرئيس الموجه للنموذج هو توسعه نظريا وعمليا في التعرف على عوامل الخطر، أما ترجمة هذا التعرف إلى ممارسة عملية تظل صعبة ومصدر إشكالية، هذه الاستجابة هي الأكثر أهمية من حيث فهم ودعم عملية التغيير لكل فرد، تحتاج إلى مزيد من التفصيل والتطوير على مستوى التطبيق المفاهيمي والعملي (Mahoney & Chowdhury, 2024).

يقترح نموذج الاستجابة للمخاطر والحاجة (RNR) ثلاثة عوامل ديناميكية في إعادة تأهيل المجرمين، وهي على وجه التحديد أقران مؤيدون للجريمة، أصدقاء ومعارف يمثلون نماذج تشجع سلوكيات وأفكار إجرامية، والتفاعل المستمر مع هؤلاء في الحياة اليومية قد يزيد من خطر العود إلى الإجرام وتعاطي المخدرات، إذ يضعف قدرة السجين السابق على التوافق مع زملاء دراسة أو عمل، ويترتب عليه اضطرابات تتداخل مع الآثار السلبية لفترة الحبس، حيث المشاركة اليومية في تعاطي مخدرات

وأنشطة ترفيهية غير تكيفية أو سوء استغلال وقت الفراغ، تنتبأ بعود سجناء سابقين إلى الإجرام (Liu, Mok, Lau & Hou, 2023).

٢- نموذج الحياة الطيبة (GLM) Good Lives Model قدمه "ورد" و"براون" ٢٠٠٤ للتغلب على انتقاد النموذج السابق بالتركيز على نقاط القوة لدى السجن (المرجع نفسه)، ويعد توظيفاً لمبادئ علم النفس الايجابي في مجال علم النفس الشرعي بوجه عام، ولتأهيل مرتكبي الجرائم الجنسية على وجه الخصوص، خطواته الأولى معرفة أولويات الشخص كما يقيسها اختبار أعد لذلك، ووجد "زيدنبرج" Zidenberg وزملاؤه (٢٠٢٤) أنه يتمتع بثبات وصدق مقبولين. وتحليل لاحق أجرته "ذيكولا" Zeccola وزميلها (٢٠٢١) لنتائج ست دراسات اختبرت كفاءته امبريقيا، تبين منه أن للبرنامج تأثيرا طفيفا في انقاص خطر العود للجريمة، مما يتطلب تطويره.

٣- الاستجابة للمخاطر والحاجات، النموذج التكاملي المعدل (RNR-I): نظرا للأدلة المحدودة على فعالية النموذجين السابقين، فمعدل انخفاض العود الجريمة بعد تلقي البرنامج الأول ١٠٪، ويعزى إلى اهتمامه بعدة عوامل خطر في الوقت نفسه، واهماله نقاط قوة كل سجين. وقد ترتفع نسبة كفاءته إلى ١٣٪ حال قام ضباط المراقبة بتوضيح دورهم ودور المفرج عنهم في تحدي التفكير الاجرامي (Serin & Lloyd, 2017). والأمر أسوأ حال تلقي البرنامج الثاني، إذ معدل فعاليته أقل (Zeccola, et al., 2021)، فجمع بينهما "لومان" Looman و"أبرسين" Abracen (٢٠١٣).

٤- برامج تقليل الاحساس بالوصم: مستمدة من كون التعافي عملية اجتماعية، تعبر عنها برامج الاقامة بغرض التعافي recovery housing التي روجت لها توماسينا بوركمان Thomasina Borkman، لكنه لا يضع في الحسبان التأثيرات السياقية والمجتمعية الأوسع، إذ المعتاد استخدام العرض التقديمي لتسهيل عدوى التعافي حيث تهيئة السياق والظروف الاجتماعية ضرورياً للتعافي.

يستعير النموذج مفهوم أنظمة الرعاية الموجهة نحو التعافي من الادمان والنموذج العالمي لمدن التعافي الشاملة في انقاص الشعور بالوصم، والذي يبدأ باستكشاف دور "الوصول إلى القاع" - أو فقدان الأفراد مواردهم الاجتماعية والشخصية نتيجة الادمان - كحافز لبدء عملية التعافي والكف عن الجريمة واضطرابات تعاطي المخدرات. لقد اهتم الباحثون والممارسون منذ فترة طويلة بلماذا وكيف يكف الجناة عن الجريمة، وتم ربطه بنقاط تحول سلبية مثل الوصول إلى القاع، والذي يمثل معاناة متعددة الأبعاد ذات آثار فسيولوجية وعائلية واجتماعية وجنائية.

وفقاً للنموذج فإنه في سياق خسارة فعلية أو متوقعة للموارد، يسعى الأفراد إلى الحفاظ عليها وحمايتها وبنائها، فالوصول إلى القاع لا يوفر الحافز الأولي للتغيير فحسب، بل يدفع الأفراد أيضاً إلى بناء موارد شخصية، إذ تعتمد احتمالات التعافي الناجح على موارد الفرد الشخصية والاجتماعية للفرد، ويمكن إعادة بنائها من خلال مجتمع التعافي (Chen, 2018).

ومع الاهتمام المتزايد في علم الجريمة بمدن التعافي، من الضروري الانتباه إلى فروق بين التعافي من الادمان والتعافي من الجريمة، فالمشترك بينهما يتعلق بتغيير الهوية، ومن ثمة يجب تطوير نموذج الهوية الاجتماعية كآلية لفهم رحلة التعافي أو التوقف عن الجريمة وإعادة الاندماج في المجتمع (Best, et al, 2017).

٥- الدافع إلى الازدهار: أشار "ليو" Liu وزملاؤه (٢٠٢٣) إلى إمكانية تقييم أثر السجن وفقاً للنتيجة السجنية prisonization أو اكتساب معتقدات وسلوكيات تلائم الحياة أثناء الحبس، تبين ارتباطها بالعود للجريمة، ربما لما ينتج عنها من احساس بفشل تعويض decompensation ما فات، إذ ترتبط سياسة ادارة السجن واجراءاتها باختلال الأداء البدني والنفسي وارتباك المساندة الاجتماعية، فتقل احتمالات استيعاب المفرج عنه اجتماعيا ومجتمعيا. والإستهداف كضحية خلال فترة السجن يعرض السجين لاعتداءات

وانتهكات وازلال متعدد الأنماط، له مردوده على صحته بدنيا ونفسيا، والمرض والاضطراب النفسي والوصمة عوامل خطر للاستهداف كضحية بعد الخروج من السجن.

بعد اطلاق سراحهم، يواجه السجناء الذين اعتادوا على قواعد السجن تعارضا بين روتين صارم اعتادوه في السجن وأنماط حياة جديدة خارجه تتطلب روتينا يوميا مختلفا يصعب التكيف معه ويثير الشعور بعدم الأمان والقلق. اضافة إلى هذا التحول من اسلوب حياة منتظم مقيد خاضع للإشراف إلى نمط حياة غير منتظم وغير خاضع للرقابة، فإن السكن غير المستقر والبطالة، وعدم القدرة على التخلص من المجرمين، والأدوار التي تلعبها الأسرة، وغياب المهارات القابلة للتسويق، وخصائص ديموجرافية كالعمر والجنس والطبقة الاجتماعية تساهم في الروتين اليومي غير المنتظم.

يمكن فهم عواقب هذا الاضطراب في ضوء الصمود النفسي ومقاومة العود desistance، إذ تشير نظرية الدافع إلى الازدهار (DTT) The Drive to Thrive إلى أن استدامة الروتين اليومي المنتظم إحدى العمليات الأساسية لإظهار الصمود النفسي مع مرور الوقت. أثناء المشقة المستمرة، يواجه الناس تحديًا للحفاظ على روتين حياتهم اليومية، إلا أن تركيزهم على مصادر الضغوط سيعطله أو ينهيه، فالإجهاد المؤلم والمزمن يؤدي إلى تعريض الأفراد لبيئة تمنعهم من ممارسة الروتين اليومي المنتظم، ويقصد به السلوكيات اليومية الأساسية الضرورية للحفاظ على سبل العيش والاحتياجات البيولوجية مثل النظافة والنوم والأكل وصيانة المنزل، أما الروتين اليومي الثانوي فيشير إلى سلوكيات اختيارية تعتمد على الدوافع والتفضيلات، مثل ممارسة الرياضة والترفيه والأنشطة الاجتماعية والتوظيف.

يشير نموذج zeitgeber في الطب النفسي إلى أن الإشارات الاجتماعية مثل وقت النوم، والاتصال بأشخاص آخرين، وتناول وجبة، والخروج، والعمل، وما إلى ذلك يمكن أن تحافظ على إيقاعات ساعة بيولوجية متزامنة مع دورة الـ ٢٤ ساعة أو جدول

ضوء النهار، وتؤدي الإشارات الاجتماعية لانقطاع الروتين اليومي إلى عدم انتظام إيقاعات الساعة البيولوجية وإثارة أعراض جسدية تتعلق باحتمالات أعلى لاضطرابات المزاج.

٦- نموذج العلاقات بين أفراد سلالات مختلفة: وهذا النموذج مفيد في المجتمعات متعددة الأعراق واللغات، حيث اختلال العلاقات بين جماعات متباينة العرق أو اللغة يحدث توترا متنوع مظاهره ومنها زيادة معدل الجريمة، ويمكن انقاصه من خلال ترسيخ علاقات بين أفراد مختلفين، يكون هذا الترسيخ بنمط من أربعة هي- زواج يترتب عليه انجاب طفل ثنائي السلالة، فيكون أكثر تقبلا لأفراد سلالاتي والديه وأكثر تسامحا مع أفراد سلالة مختلفة عنهما - استيعاب assimilation السلالة أو الثقافة الأكبر للسلالة الأصغر - قبول التعدد العرقي والثقافي يسمح باحتفاظ كل سلالة بثقافتها - التوازن بين التعدد والوحدة unity in plurality في ضوء جغرافيا الوطن وتحدياته، وهو النمط الأمثل للحد من الجريمة في أفغانستان على سبيل المثال (Haqqani, et al., 2024).

٧- برنامج عبر البوابة (TTG) Through-the-Gate، ظهر في المملكة المتحدة التي شهدت تقدما في برامج التأهيل، وخلال العقد الأخير وجهت انتقادات لفعاليته دفعت لاتخاذ خطوات ايجابية نحو تحسينها، من هذه الخطوات تعظيم دور متابعة القرين والتوسع في فهم حاجات السجناء، ومع استمرار انتقادات قدرة البرامج على تقديم مساندة ذات معنى للسجناء وأفراد الأقليات منهم بوجه خاص، تم تطوير نموذج عبر البوابة بهدف تحقيق "الانتقال السلس من السجن للمجتمع"، ويعد جزءاً من أجنحة تطوير إعادة التأهيل في إنجلترا وويلز في عام ٢٠١٤، وتبين فعاليتها في الحد من العودة إلى الإجرام لدى مستويات مرتفعة، فمن ناحية يقدم البرنامج دعماً قانونياً لأشخاص تحت المراقبة تلقوا أحكاماً تصل إلى أقل من ١٢ شهراً، ومن ناحية أخرى يتم تسويقهم للعمل في شركات (Mahoney & Chowdhury, 2024).

٨- المنحى الشمولي في فهم الجناة: وهو ليس جديداً إذ أشار Hippchen (١٩٨٢) له بوصفه "يسعى إلى فهم الجناة كأشخاص لديهم معنى وهدف في الحياة بشكل عادل كما يفعل الآخرون، هذا الفهم من خلال النظر لسلوك الشخص اجمالاً، والنظر إلى امكانات كل مجرم لكونها ذات قيمة كبيرة، وفي الوقت نفسه عدم تجاهل مشكلاته السلوكية التي تهدد المجتمع" (Mahoney & Chowdhury, 2024). ويؤكد "ترييل" Terrill و"شاوهري" Chowdhury (٢٠٢٤) ضرورة اتباع نهج شمولي للأبعاد النفسية والروحية والاجتماعية والثقافية للمشاركة العلاجية لتخفيف التحديات الشخصية التي تؤثر على المسلمين الذكور المسجونين سابقاً وأسرهم.

ومثالاً لهذا النهج الشمولي برنامج يوظف أساليب بدنية ومعرفية أطلق عليه العلاج العقلي والجسدي، لتحديد تأثيره على الوقاية من اكتئاب النزليات اختار Aisyah وزملاؤه (٢٠٢٤) ٣٥ نزيلة تتراوح أعمارهن بين ٢٠ و ٤٥ عاماً ومدة سجن تزيد عن عام واحد، وباستخدام مقياس الإجهاد المدرك تبين أن تلقي العلاج العقلي والجسدي يمكن أن يقلل مستوى الإجهاد الذي تعانيه النزليات، وبالتالي يمكن وقايتهن من الاكتئاب أثناء الاحتجاز، الذي ينتج غالباً بسبب الإجهاد المتكرر وصعوبة التكيف مع بيئة مركز الاحتجاز، أي التوتر، لتخفيفه تقوم النزليات أفعال إيذاء أنفسهن.

يؤثر التعامل مع التوتر بشكل صحيح على العزو الذاتي، وبالتالي يؤدي إلى إثارة أفكار وسلوكيات سلبية عن أنفسهم والآخرين ومستقبلهم، مما يؤدي إلى اكتئاب، يتسبب بدوره في حدوث تغييرات كبيرة في الحالة البدنية، ويجعل العلاقات الاجتماعية أسوأ وفقدان الأمل في البقاء على قيد الحياة.

يشير الاكتئاب الناجم عن الإجهاد غير المنضبط إلى أن لدى الفرد تنظيم ذاتي منخفض، ويقصد به قدرة الفرد على توجيه ومراقبة السلوك لتحقيق هدف معين من

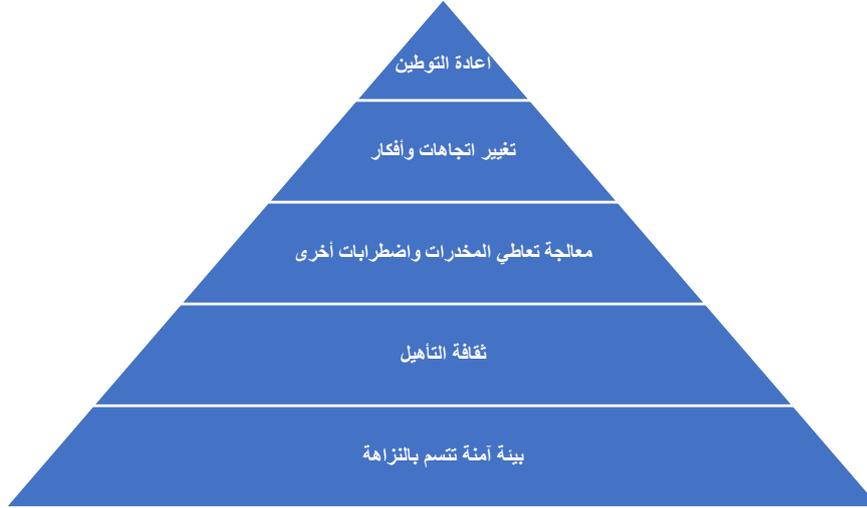
خلال إشراك العناصر الجسدية والمعرفية والعاطفية والاجتماعية لمنع الاكتئاب، هناك حاجة إلى التوازن بين الجسم والعقل لبناء تنظيم ذاتي جيد حتى يتمكن الأفراد من ادارة والسيطرة على التوتر الذي يؤدي إلى الاكتئاب.

طريقة العلاج بالعقل والجسد تفيد في الوقاية من الاكتئاب بتنفيذ جلسات علاج بالتأمل واليوجا، حيث يترابط العقل والجسد والعواطف في تحسين الصحة العقلية والصحة البدنية لمنع مشاكل أكثر خطورة. يتم ذلك من خلال مساعدة النزليات على التحكم في التوتر بإشراك الوعي الداخلي بالمشاعر والأفكار والظروف الجسدية المرتبطة لخلق توازن بين الجسم والعقل يساعد في بناء التنظيم الذاتي لديهن، بحيث يتمكن من إدارة والسيطرة على التوتر الذي يؤدي إلى الاكتئاب. يحاول التأمل في هذا البرنامج التأثير على موجات الدماغ التي تؤثر على الأعصاب لموازنة عمل أجهزة الأعضاء، فانتقان حركات اليوجا والتنفس يؤدي إلى إدارة أفضل للمشاعر السلبية ويساعد أيضًا في تطوير الوعي الذاتي بما يزيد القدرة على تجاوز فترة السجن بشكل جيد وعلى العيش بمسؤولية كأعضاء في المجتمع بعد الافراج.

مثال آخر لهذا التوجه الشمولي يركز على تحويل السجن من مؤسسة عقابية إلى بيئة مناسبة لاعادة التأهيل، ففي ٢٠١٧ ظهرت محاولة طموحة لاعادة تصميم سجن ببيرين الانجليزي وفق هرم "مان" Mann وزملائه (شكل ١)، تتمثل في تطبيع بيئته من خلال تحسين تصميمه المكاني، والتركيز على ثقافة وقيم التأهيل وادارة السلوك، واعادة التفكير العلاقات والتفاعلات ولغة السجن واستبدال مصطلحاته التقليدية ببدائل توائم منظور موظفيه ونزلائه، وقد واجهت هذا المحاولة مقاومةً من بعضهما

(Prescott,

2021)



شكل (١) نموذج "مان" وزملائه للتأهيل

٩- نظرية التعلق المستنير بين النزلاء وموظفي السجن - the attachment theory- informed relationships between residents and staff ومفتاحها "الاعتیاد" ordinaryness حيث "الاستقرار والاتساق والاحتواء والدعم" بدلاً من البيئة "الاستثنائية" التي تتسم بالصدمة والاستغلال والعنف المميزة للسجن. رأى Till وزملاؤه (٢٠٢٤) أن جزءاً مهماً من دور ضابط السجن هو بناء علاقة "ناجحة" مع السجناء، فوجودها مؤشر التقدم الهادف، وأحد جوانبها هو تعمق التعرف عليهم بمرور الوقت، كالتعرف على حياتهم العائلية وعلاقاتهم السابقة وعالمهم الداخلي. ومفتاح بناء علاقة ناجحة هو أن يطور الضباط شعوراً أكبر بالتعاطف مع السجناء، لأن بناء علاقة ناجحة أمر ذو قيمة لكليهما الضباط والسجناء، فهي تحمي السجناء من الإجهاد، وتمكنهم من التعافي وتحدي أنفسهم للوصول له، فادراك قوة الاتصال تدعم تقدمهم وتخلق لديهم شعوراً أن حياتهم مستقرة

آمنة، والخبرة بهذا الشعور داخل السجن مهمة لتكرارها خارجة. والعلاقة الناجحة مهمة للضباط لأنها ترفع الثقة في النفس، وتزيد مرونتهم، وتقلل ضغوط ادارة سلوك معقد.

هذه النظرية أساس منحى أوسع ظهر مؤخرًا هو "بيئات مستنيرة نفسيًا" Psychologically Informed Planned Environments (PIPEs) صممت بحيث يتلقى موظفوها تدريبًا إضافيًا حتى يطوروا وعيهم بعملهم بزيادة فهمه نفسيًا، وهذا يمكنهم من خلق بيئة آمنة داعمة تعزز التعامل بطريقة مستنيرة نفسيًا مع المواقف اليومية، بما فيها اضطرابات شخصية السجن، فلامح هذه البيئة هي:-

- يعد إنشاء علاقات آمنة وداعمة والحفاظ عليها بين الموظفين والسجناء أمرًا أساسيًا، يتحقق بتوافر تفاعل يومي محترم بينهما، يجعلهما أكثر تعاونًا لإدارة وتنظيم بيئة مستنيرة نفسيًا PIPE، إضافة إلى توفير آليات دعم رسمية للسجناء، وأنشطة غير رسمية من خلال جلسات منتظمة بينهم وبين الضباط.
- أن يكون لدى موظفي البيئة المستنيرة نفسيًا PIPE فهما وامتثالًا لطريقة عملها، يمكن تسهيل ذلك من خلال فريق محدد بوضوح يتلقى التدريب والإشراف معًا، إذ أحد الدروس الرئيسية المستفادة من دراساتها هو أن أساليب موظفي السجن غير المتسقة والأقل التزامًا تقوض التفاعل المفيد مع السجناء، لذا مهم أن يلعب القائد دورًا رئيسيًا في دعم وتطوير الموظفين، كما يجب توظيف ذوي المهارات المناسبة منهم لهذه البيئات.
- يساعد التواصل الفعال بين قيادة استراتيجية مناسبة للسجن وموظفيه ومسجونيه في ضمان دعم مؤسسة مستنيرة نفسيًا PIPE داخلها وخارجها، ومتابعة أية أهداف تقوض أو تتعارض مع أخلاقيات البيئة المستنيرة نفسيًا.

• يتأثر مردود البيئة المستنيرة نفسيا إذا تضمنت سجناء مستبعبدين من خدماتها، لذا يجب العمل على استيفاء كل نزلاتها معاييرها، وحتى يتحقق هذا على الأمد الطويل يجب الانتباه إلى تأثير اختلاطهم بسجناء استوفوا هذه المعايير.

ولا يعد هذا برنامجا علاجيا إنما تصميم بيئة سجن تضمن فعالية أية تدخلات لاعادة دمج السجناء اجتماعيا من خلال متابعة سلوكية لكل أطراف هذه البيئة ومنها الإدارة (Turley, et al, 2013).

١٠- التأهيل عن بعد telerehabilitation: شاع مفهوم الذكاء الاصطناعي واتسع استخدام برامجه بسرعة في السنوات الأخيرة، وحظي باهتمام بحثي كبير، وتستخدم تقنيات ذكية بشكل رئيسي لأغراض إنفاذ القانون بهدف تحقيق الأمن والسيطرة، ففي هونغ كونغ تكتشف كاميرات المراقبة الذكية السلوك غير المعتاد، وتستخدم الأساور لجمع البيانات عن السجناء. ومؤخرا اتجهت دول شمال أوروبا إلى بناء سجون ذكية، حيث يتم استخدام الذكاء الاصطناعي كأداة لإعادة التأهيل، ففي فنلندا، يتم استخدام الواقع الافتراضي للمساعدة في إعادة التأهيل (Fedorczyk, (2024).

ميزة هذا النموذج أنه يمكن استخدامه لتأهيل محكوم عليهم بعقوبات بديلة للحبس، حيث يتم تأهيلهم افتراضيا وهم بمنزلهم. ومع أنه لا توجد دراسات تختبر فعالية تأهيل السجناء عن بعد، إلا أن استخدامها في المجال العيادي حقق تأثيرات أكثر إيجابية مقارنة ببرامج التأهيل التقليدية، ففي دراسة تم فيها تحليل لاحق لنتائج دراسات بمشاركة عينات من مرضى التصلب المتعدد، ظهر أن إعادة التأهيل عن بعد المتزامن أكثر فعالية جسديا ومعرفيا، ونتائجه السريرية أفضل من برامج التأهيل التقليدية (Sarpourian, et al., 2024).

تحدد النماذج السابقة المبادئ العامة التي تعد أساساً لتصميم وتنفيذ برامج فعالة لتأهيل المسجونين، وذلك بتحويلها إلى استراتيجيات وإجراءات تحقق رسالة السجن، من هذه المبادئ:-

١- الاهتمام بالصحة الجسمية والنفسية لأفراد أطقم ادارة السجن: ففاقد الشئ لا يعطيه، بمعنى أن معاناتهم ستعكس سلبا على تعاملهم مع السجناء وتعرقل عمليات التأهيل. كشفت بيانات ضعف رعاية موظفي السجن والاصلاحيات، وحاجتهم إلى برامج تعزز الصحة وراحة البال well-being كجزء من توجه يشمل السجن بأكمله، تبين من تحليل لاحق لنتائج عشرات الدراسات التي أجريت في خمس دول فيما بين ٢٠١٣ و ٢٠٢٣ تأثير محدود لهذه البرامج، تم عزوه إلى سببين: أوجه قصور منهجية عديدة وجسيمة في غالبية البحوث، ومحدودية برامج التدخل إذ اقتصر على الحد من التدخين وانقاص التوتر (Woodall, 2024).

٢- تصنيف السجناء: لتداعياته المهمة التي تتجاوز مستوى الأمن، إذ يؤثر على برامج تأهيلهم وتمكين إعادة الدمج الاجتماعي (Fanarraga & Celinska, 2024)، لذا من الضروري أن يتم التصنيف في ضوء محكات أمنية بالاضافة لعوامل أخرى مثل:-

- سياق ارتكاب الجريمة: هناك من ارتكب جريمته تحت وطأة ظروف ضاغطة، أو بدافع لا يمكنه التحكم فيه، وكلاهما يختلف عن آخر ارتكب جريمته لأنه مضطرب نفسياً، وثالث اتخذ الجريمة وسيلة كسب كالقاتل الأجير وجالب المخدرات وما شابه، فلكل منهم طريقة تعامل خاصة.

- النوع: حيث لأفراد كل نوع ما يناسبه من برامج، وعلى الرغم من زيادة معدلات سجن النساء، فما زالت معظم الممارسات الإصلاحية تعتمد على عينات من الذكور، بما في ذلك تصنيف السجن، حيث لا تضع هذه التصنيفات في الحسبان الفروق بين النوعين في نمط الجرائم وعوامل الاستهداف وعواقب السجن، إذ للسجينات دوافعهن لارتكاب الجرائم وأنماطها، واحتياجاتهن التي تحدد عواقب سجنهن واستراتيجياتهن للتأقلم. ودعت

دراسة استقصائية شاركت فيها ١٩٤ سجيناً أن للتصنيف القائم على الاحتياجات آثار مهمة على سياسة ادارة وعلاج وتأهيل المسجونين (Fanarraga & Celinska, 2024).

- العمر: لكل شريحة عمرية ما يناسبها.

- مستوى الخطورة الاجرامية: في ضوء تقييم assessment المخاطر، ويقصد بها عملية جمع معلومات عن الشخص وسياقات محيطه البيئي لتقدير احتمال انخراطه في سلوك اجرامي، هذا الاحتمال يزيد - على سبيل المثال - حال كونه مضطرباً نفسياً، ووجود تاريخ اجرامي لأفراد من أسرته أو جبرته أو أصدقائه.

تنبثق أهمية هذا التصنيف من كون برامج التأهيل بمثابة منظومة خدمات مقدمة لمساندة فرد إما مريض جسدياً أو نفسياً، وإما مضطرب أو منحرف سلوكياً، والبرامج عادةً يتم تخصيصها لتلبية احتياجات محددة لفرد بعينه، تشمل معالجة تناسبه كالعلاج الطبيعي والعلاج المهني والعلاج النفسي والترفيه ... ما شابه (VandenBos, 2015, 897).

٣- بناء علاقات ثقة بين المسجون وادارة السجن بوجه عام، ومنفذي البرنامج على وجه الخصوص: فمن الضروري أن يبدأ أي برنامج ببناء الثقة بين منفذه والمشارك، فخلاصة ٢٧ دراسة في هذا الاطار تبرز أهمية هذه الثقة لتسهيل انخراط المساجين في أنشطة ببناءة تمكنهم من الصمود ضد مخاطر السجن (Axelsson, Eriksson & Grip, 2023) من ناحية، وتهيئهم للتعامل الفعال مع ضغوط المعيشة بعد مغادرته.

تتوفر في بيئة السجن عوامل مؤلمة وعدائية ومصادر تهديد منها: الحرمان من الحرية والزحام وممارسة أحد النزلاء القيادة وممارسة مشرفي السجن وحتى المساجين التمييز (Gonzalez-Alvares, et al., 2022)، وهي عوامل يواكبها عوامل خطر أخرى

كالكرب النفسي والشعور بالهوان والحرمان والعزلة وفقدان الثقة، وضعف التحكم بين النزلاء فتنشأ بينهم جماعات فرعية توفر الأمن (Iannello, et al., 2023) ممزوجا بالإذلال، كل هذا يضعف ثقة السجين فيما يقدم له من برامج تأهيل.

يتطلب بناء الثقة ظروف ايجابية داخل السجن، حيث كشف تقرير أمريكي أن ٥٧٪ من بين ٤٣ ألف مفرج عنه عام ٢٠٠٥ لم يعودوا للجريمة خلال متابعتهم لخمس سنوات، بمعنى أن تحسين ظروف السجن تحدث تغييرا لدى السجناء (Serin & Lloyd, 2017). وشرط تحسين بيئة السجن حسن اختيار ضباطه وموظفيه بحيث يتصفون بمرونة عقلية وثبات انفعالي وسرعة بديهة، مع ضرورة تدريبهم جيدا على مهارات التفاعل الايجابي مع المسجونين، تفاعلا يساعد على خفض احساسهم بالتمييز، ويظهر احترام منظومة القيم الدينية لديهم، بل واشراك أفراد من عائلاتهم وأصدقائهم في عملية التأهيل (Gómez, et al., 2022).

٤- تنمية مهارات الوعي بالمعرفة: كشفت نتائج الدراسات علاقة عكسية قوية بين الأعراض السلبية ومهارات الوعي بالمعرفة metacognition، هذه الأعراض السلبية ترتبط ايجابيا بكل من: استراتيجيات تثبيط deactivation كالتعلق التجنبي avoidant attachment والقمع التعبيري expressive suppression وضعف الدافعية للمثابرة عند تحقيق هدف، وتناقص استخدام استراتيجيات تتطلب ارتباط engagement اجتماعي وإعادة تقييم reappraisal معرفي وتنظيم الانفعال (McGuire, 2022). معنى ماسبق أن تأهيل سجين لادماجه في المجتمع يتطلب خفض الأعراض السلبية الناتجة عن السجن، وفي ضوء العلاقة العكسية بينها وبين مهارات الوعي بالمعرفة، بمعنى أن تنمية هذه المهارات يقلل تلك الأعراض، ومن ثمة فإن تنمية مهارات الوعي بالمعرفة تعد مدخلا وقائيا وأرضية تساعد السجين على القيام بعملية تغيير ايجابي ناجحة.

٥- استثارة الدافعية للتغيير وتمييزها: كشفت بحوث العلاج النفسي ارتباطها ايجابيا باستمرارية تلقي العلاج عبر مراحل المتابعة وصولا إلى تحقيق أهدافه، كما ارتبطت سلبيا بمعدلات كل من: التسرب أثناء تلقي البرنامج والانتكاس بعده (Granholm, et al., 2022; Rymenans, et al., 2024). وتتم استثارة الدافعية للتغيير من خلال تدخل دافعي مفتاحه التوجه المباشر لحل التناقض، وتوجيه الفرد لتغيير سلوكي مرغوب. هذا التدخل عبارة عن اسلوب ارشادي من أربع عمليات: مشاركة - تركيز على السلوك المراد تغييره - استثارة evoking الرغبة في تغييره - وضع خطة محكمة لكيفية التغيير الكفاء، صمم لزيادة الدافعية للتغيير السلوكي بالتركيز على أسبابه الداخلية كالحاجة للاستقلال والحاجة للشعور بالكفاءة استنادا إلى قدرة على ادارة البيئة المحيطة وتعلم مهارات جديدة، لكن ملاءمته لسباق عودة مريض للعمل غير واضحة (Rymenans, et al, 2024).

أهمية تنمية دافعية التغيير لتأهيل السجناء هي أنها ترفع معدلات التزامهم بالاستمرار أثناء تلقي برنامج تأهيل، والمحافظة على التغيير السلوكي الناتج عنه. تكون هذه التنمية عبر تعرف السجين على مصادر دافعيته: الخارجية منها كتشجيع أفراد من أسرته وأصدقائه، والداخلية كتقدير الذات.

وتختلف استراتيجيات اثارة دافعية التغيير باختلاف مراحلها وهي: ما قبل التغيير، والعزم على التغيير، والبحث عن مسار آخر للحياة بعد انتهاء فترة السجن، واتخاذ قرار بتنفيذ هذا المسار والمحافظة عليه. والاستراتيجيات هي: النصح، والتفهم الوجداني، وطرح بدائل السلوك الاجرامي، والمساندة الاجتماعية. والهدف من هذه الاستراتيجيات هو زيادة وعي الفرد بالمشكلات التي واجهته قبل فترة السجن، وتقدير احتمال مواجهتها بعد الخروج منه، وزيادة احساس الفرد بفعاليته في مواجهتها، وزيادة تقديره لذاته.

٦- تنمية مهارات التنظيم الذاتي: لتسهيل التحول من الفعل وفقا للعادة بشكل آلي إلى التصرف بعد معالجة معرفية موسعة للظرف الراهن الذي يعيشه السجين، والتحديات التي ستواجهه بعد خروجه. المهارة المفتاحية لهذه المعالجة هي المراقبة الذاتية، التي تمكنه من استشعار علامات الاصدار التلقائي لسلوك غير مرغوب ومن ثمة التحكم فيه. إذ تشير مراقبة الذات إلى تنظيم سلوكيات التعبير عنها في المواقف الاجتماعية، وتفترض نظرية مراقبة الذات أن الأفراد يختلفون بشكل منظم في المدى الذي يرغبون ويستطيعون فيه أن يراقبوا سلوكياتهم ويتحكمون فيها، فمرتفعو المراقبة الذاتية أكثر وعيا باستجاباتهم للهاديات الاجتماعية، لذا يستجيبون بشكل يناسب السياقات الموقفية، وعلى العكس منهم يسلك منخفضو المراقبة الذاتية بشكل يتسق مع ما يرون أنه ذواتهم الحقيقية، لذا هم أقل استجابة لظروفهم الاجتماعية، ويملكون قدرا قليلا من مهارات تقديم الذات. مرتفعو المراقبة الذاتية أكبر من منخفضي المراقبة الذاتية تحكما تعبيريا، وأكثر قدرة علي ادراك ما يظهره الآخرون من انفعالات، ويختارون مواقف محددة واضحة مكونين خطط فعل فعالة قبل التفاعل الاجتماعي الفعلي باستخدام سلوك الآخرين مرشدا لسلوكهم، ويسهلون وبفعالية حدوث محادثات سارة وهادئة مع الآخرين، ويظهرون سلوكا متسقا مع الأدوار والمواقف التي يجدون أنفسهم فيها. ذلك لأن عمليات المراقبة الذاتية تشمل:

- الاهتمام بمدى الملاءمة الاجتماعية.
- الانتباه لهاديات تناسب تقديم الذات.
- القدرة على تكييف التقديمات أو العروض الخاصة بالذات، لاستخدامها في مواقف معينة.
- مدى تباين تقديم الذات والتعبير عن السلوك في المواقف المختلفة (فوجلستاد وسنيدر، ٢٠١٨).

٧- التقييم الذاتي من خلال مقارنة الوضع الراهن للفرد وما ينبغي أن يكون عليه: هدف هذه المقارنة تقدير الفجوة بين الوضعين، واستنتاج وسائل الوصول للوضع المرغوب، والبحث عن أفكار وقيم وممارسات تمكنه من الوصول. ومفيد هنا تدخل يعيد الاعتبار للأخلاق moral reconnection therapy، وهو أسلوب علاجي يتدارك عدم فعالية العلاج المعرفي السلوكي في خفض العود للجريمة (Blonigen, et al, 2024).

٨- تنمية الصمود Resilience: بوصفه قدرة مهمة يجب أن يتمتع بها النزلاء للاستجابة بشكل تكيفي لصعوبات يواجهونها أثناء وجودهم في السجن وبعد مغادرته، لذا تعزيز صمود السجناء من خلال برامج تنمية الاعتماد على الذات التي يتم تنفيذها في السجن، والتي لها تأثير على مستوى الثقة والروحانية والتحكم الداخلي والتحكم الخارجي والكفاءة الذاتية وتقدير الذات. لأن الصمود قدرة تمكن التعافي والنمو الإيجابي لتضمنها عمليات ديناميكية تشجع على التكيف الإيجابي في سياق الصعوبات الكبيرة.

نص القانون الدولي أن تتيح السجن فرصاً لمسجونيهـا لاكتساب معرفة ومهارات تكون مفيدة لهم للمضي قدماً في حياتهم بعد الإفراج عنهم، وإيجاد وظائف وتجنب إعادة الانتهاك في المستقبل. في السنوات الأخيرة، أصبح برنامج تدريب الاستقلال برنامجاً روتينياً تنظمه إدارة السجن في اندونيسيا منذ عام ١٩٩٠ لتنمية السجناء، حيث يوجد برنامجان: تدريب الشخصية وتدريب الاستقلال، لتطوير إمكاناتهم ومواهبهم واهتماماتهم، حيث البرامج التعليمية والمهنية والنفسية، إضافة إلى الخدمات الخاصة لقضايا محددة وسيلة لإصلاح السجناء (Herwina, et al, 2022).

٩- توعية العائلات والمجتمع المحلي بدورهم في خفض احتمال العود: إذ على رأس عوامل خطر العود هو شعور المفرج عنه بالوصمة، شعوراً ينشأ من رفض أفراد المجتمع المحلي التعامل معه تعبيراً عن نفورهم واستيائهم منه، لأنهم يرونه غير جدير بالثقة. ويؤدي هذا بدوره إلى شعور بالوصم الذاتي، الذي يعزز الاحساس بالعجز والفشل وتبني استراتيجيات

تكيف سلبية، ومن ثمة فإن التدريب على مواجهة الوصم عنصر مهم في برامج التأهيل يسهل إعادة الدمج في المجتمع. ولمعرفة العلاقات بين الوصم الاجتماعي والاندماج الاجتماعي والعود للجرينة من وجهة نظر النزلاء العائدين اختار ربيع (٢٠١٧) عينة عددها ١٣٨ نزيلا عائدا بالضفة الغربية/فلسطين، كشفت الدراسة أن الوصم الاجتماعي يجعل اندماج المفرج عنهم في المجتمع صعبا، مما يسهم في عودتهم الى الجريمة، وأن الوصم وعدد مرات العود ونمطي الجريمة: الاولي والاخيرة ومدة عقوبة كل منهما تتبئ بالعود.

للشعور بالوصم مردوده السلبي على نوعية حياة صاحبه، لأنه استجابة لاتجاهات سلبية تجاهه وتمييزا ضده نتيجةه تقدير ذات منخفض. فالوصم نتاج خوف من خطورة التعامل مع سجين سابق، يؤدي إلى تجنبه، فنقل مصادر مسانده اجتماعيا. لذا يتضمن أي برنامج فعال لانقاص الوصم عناصر أهمها: زيادة الوعي بمظاهر الوصمة وعواقبها - فهم الاتجاهات السلبية والصور النمطية التي تبرر الوصم - اكساب مهارات التفاعل مع مقدمي الخدمات الاجتماعية، ويمكن احداث هذا التفاعل بشكل فعلي أو افتراضي بواسطة تطبيقات حاسوبية تم تصميمها واستخدامها واختبار كفاءتها (Rodríguez-Rivas, et al., 2024).

الخلاصة

يعتمد أي اصلاح للسجون على التوسع في تأهيل السجناء لاعادة دمجهم في المجتمع، إلا أن برامج هذا التأهيل تعاني ندرة، وتفتقد الابداع، على الرغم من كونها عملية حيوية مهمة لارساء العدالة بانقاص احتمالات العود للجريمة. وحتى تحقق السجون هدفها يجب تأهيل النزيل لاعادة دمج اجتماعيا باستراتيجيات مثل: وضع سياسة وطنية لاعادة الدمج، والمساعدة في تلبية احتياجاته الأساسية، وتوفير المعرفة والمهارات القابلة للتسويق والمناسبة لوضعه الاجتماعي والاقتصادي الحالي، وتعزيز المشاركة الأسرية والمجتمعية والمهنية، وتحسين خدمات الرعاية اللاحقة، وتعزيز العلاقات الاجتماعية، وإشراكه في العمل التطوعي بما يتماشى مع ظروفه واحتياجاته وقدراته (Razali, Mustaffa & Kamsani, 2021).

وحتى تصبح عملية التأهيل فعالة يجب أن تتم بواسطة فريق متعدد التخصصات والخبرات، والاختصاصي النفسي عضو بارز فيه، يجب أن يكون اسهامه متعدد المكونات كما أوضحت نتائج ١٤ دراسة أجريت فيما بين ٢٠٠٨ و٢٠٢٣ واستعرضها "سنجانا" Sanjanaa وزملاؤه (٢٠٢٤)، واستخلصوا أن التدخل الفعال لادماج سجين في مجتمعه يجب أن يشمل برامج علاج معرفي سلوكي، وعلاج أسري متعدد الأبعاد Multidimensional Family Therapy، وعلاج سلوكي جذلي معدل -Dialectical Behaviour Therapy، وعلاجات نفسية مضادة للانتحار، وعلاج مهني من خلال ورش عمل.

إلا أن برامج التأهيل تواجه تحديات على رأسها عدم كفاية الموارد، وضعف أو غياب التنسيق بين الجهات الفاعلة في مجال العدالة، فكلاهما يعيق تحقيق أهداف استمرارية اعادة التأهيل لا سيما في المناطق منخفضة الدخل، إذ تؤدي تخفيضات الميزانية إلى تقليل بل قطع برامج إعادة التأهيل، ففي اسكتلندا على سبيل المثال، أثرت مخاوف في نهاية عام ٢٠٢٢ من أن ارتفاع فواتير الطاقة وتكاليف المعيشة أدى إلى عجز مالي كبير، سيؤثر على الوقت الذي

يقضيه السجناء خارج زنازينهم وكذلك على وصولهم إلى خدمات إعادة التأهيل (Global Prison Trends 2023).

يمكن أن يختلف مدى توفر برامج إعادة تأهيل سجين وجودتها بشكل كبير داخل البلدان، بل ويختلف مفهوم التأهيل من سلطة قضائية لأخرى، ففي بعضها يكون مفهوما محدودًا لا يتضمن أكثر من مجرد برامج عمل للسجناء، ومثل هذا إن لم يكن سياقًا مسيئًا فليس له قيمة كبيرة لإعادة التأهيل على الأمد الطويل، أو كما وصفه تقرير صادر عن الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية وعبادة حقوق الإنسان بكلية الحقوق بجامعة شيكاغو "على الرغم من إمكانية العمل في السجون لتسهيل إعادة التأهيل، فإن النظام الحالي لا يقدم في كثير من الأحيان أي شيء غير الإكراه والاستغلال". تشير الأدلة إلى أن العمل الذي يقوم به الأشخاص في سجون البلاد ينتج أكثر من ٢ مليار دولار أمريكي سنويًا من السلع، وأكثر من ٩ مليارات دولار سنويًا من خدمات صيانة السجون. في المقابل فإن اليابان تتبع أسلوبًا يتيح إعادة تأهيل من خلال العمل في السجون، حيث تضمنت تقييدات قانون العقوبات هذا الهدف، مع ضمانات واضحة تجعل العمل متوائماً مع الظروف الفردية (Global Prison Trends 2023).

كما يواجه السجناء المفرج عنهم نقص الرعاية اللاحقة كالحصول على سكن وفرصة عمل، مما يجعلهم معزولين عن بقية أفراد المجتمع، مصدر هذا ضعف تمويل برامج الرعاية اللاحقة للمفرج عنهم، وضيق نطاق برامج تأهيلهم قبل الافراج عنهم واقتصارها فقط على العمل داخل السجن، وعدم تعديل الأنظمة الجنائية بما يمكن من عمل المسجونين قبل الافراج عنهم مع أفراد من المجتمع وخارج السجن بما يسهل إعادة الدمج الاجتماعي ويقلص فرص العود للجريمة (Ally, 2022).

المراجع

- ربيع، يونس (٢٠١٧). الوصم الاجتماعي والاندماج الاجتماعي والعود للجريمة من وجهة نظر نزلاء مراكز الاصلاح والتأهيل العائدين في الضفة الغربية. رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين.
- الرواشدة، سامي حمدان (٢٠٢١). العقوبات البديلة جذورها التاريخية والاتجاهات المعاصرة: الخدمة المجتمعية نموذجاً. مجلة كلية القانون الكويتية العالمية، ١١، ٣٣١-٣٨٦.
- شحاته، عبد المنعم (٢٠١٩). العشوائيات والسلوك المشكل. مجلة الدراسات النفسية المعاصرة (قسم علم النفس ببني سويف)، ١، ٣٧-٥٤.
- عبدالله، أحمد فرحان ومبارك، ساهال (٢٠١٩). مميزات لخصائص العقوبة الجنائية في الشريعة الاسلامية: دراسة تحليلية. مشكاة الأنوار، ٣٠(١)، ٢٣-٤٤.
- فوجلستاد، بول وسنيذر، مارك (٢٠١٨). مراقبة الذات (١١٣١-١١٦٣) في: مارك ر. ليري وريك هـ. هويل (محرران) المرجع في الفروق الفردية في السلوك الاجتماعي (ترجمة: عبد اللطيف خليفة وعبد المنعم شحاته). القاهرة، المركز القومي للترجمة.
- Aisyah, A., Dolinsky, K., Anas, N. & Datu, A. (2024, January). Preventing Depression Using Mind Body Therapy to Female Inmates at The Sungguminasa Class IIA Women's Correctional Institution. In *Second Makassar International Conference on Sports Science and Health (MICSSH 2023)* (pp. 26-32). Atlantis Press.
- Ally, A. (2022). The psychosocial effects of ex-prisoners and the mitigating strategies as they integrate into the community: A study of Iringa Municipality, Tanzania. *International Journal of Novel Research in Humanity and Social Sciences*, 9(5), 7-16.

Axelsson, J. Eriksson L. & Grip, L. (2023). Managing violent extremist clients in prison and probation services: A scoping review. *Terrorism and Political Violence*, 1-24.

Best, D., Irving, J., & Albertson, K. (2017). Recovery and desistance: What the emerging recovery movement in the alcohol and drug area can learn from models of desistance from offending. *Addiction Research & Theory*, 25(1), 1-10.

Blonigen, D., Macia, K., Cucciare, M. & Smelson, D. (2024). For whom are treatments for criminal recidivism effective? Moderator effects from a randomized controlled trial of justice-involved veterans. *Journal of consulting and clinical psychology*, 92(2), 118.

Bukten, A., Virtanen, S., Hesse, M., Thylstrup, B., Kvamme, T. L., Seid, A. K., ... & Stavseth, M. R. (2024). The prevalence of substance use disorders among people in Norwegian, Danish and Swedish prisons: A multi-national cohort study, 2010–19. *Addiction*.

Cambridge, G., Lynch, O. & Windle, J. (2022). *The desistance journey: Into recovery and out of chaos*. Springer Nature.

Carmean, A., Boman, A., Kowalski, K., & Walsworth, J. (2019). Occupational Therapy in Prisons. https://scholarworks.gvsu.edu/ot_community_based/8

Cerrato, S. (2024). Order or Stability: The Role of Penal Administrators in the Transformation of Instability within Correctional Institution. *Deviant Behavior*, 45(1), 26-49.

Chen, G. (2018). Building Recovery Capital: The Role of " Hitting Bottom" in Desistance and Recovery from Substance Abuse and Crime. *Journal of psychoactive drugs*, 50(5), 420-429.

Durose, M. R., Cooper, A. D. Snyder, H. N. (2014). *Recidivism of Prisoners Released in 30 States in 2005: Patterns from 2005 to 2010*. Accessible: <https://www.bjs.gov/content/pub/pdf/rprts05p0510.pdf>,

Eck, J. & Eck, E. (2012). Crime Place and Pollution: Expanding Crime Reduction Options through a Regulatory Approach. *Criminology & Public Policy*, 11(2), 281-316.

Favril, L., Rich, J. D., Hard, J., & Fazel, S. (2024). Mental and physical health morbidity among people in prisons: an umbrella review. *The Lancet Public Health*, 9(4), e250-e260.

Fedorczyk, F. (2024). Navigating the dichotomy of smart prisons: between surveillance and rehabilitation. *Law, Innovation and Technology*, 16(1), 243-260.

Fanarraga, I. & Celinska, K. (2024). Gender-responsive classification of women in prison: a typology based on mental health symptoms and coping strategies. *International journal of offender therapy and comparative criminology*, 0306624X241246652.

Global Prison Trends, 2023 www.penalreform.org

Gómez, Á., Martínez, M., Martel, F., López-Rodríguez, L., Vázquez, A., Chinchilla, J., ... & Swann, W. (2021). Why people enter and embrace violent groups. *Frontiers in psychology*, 11, 614657.

Gomes, S., & Rucker, D. (2024). *Gender, Prison and Reentry Experiences: A Matter of Time*. Taylor & Francis.

González-Álvarez, J. L., Santos-Hermoso, J., Gómez, Á., López-Novo, J. L., Buquerín-Pascual, S., Pozuelo-Rubio, F., ... & Chiclana, S. (2022). A Theoretical, Empirical, and Methodologically Based Instrument to Assess the Risk of Violent Jihadist Radicalization in Prisons: The DRAVY-3. *Terrorism and Political Violence*, 1-17.

Granholt, E., Twamley, E. W., Mahmood, Z., Keller, A. V., Lykins, H. C., Parrish, E. M., ... & Holden, J. L. (2022). Integrated cognitive-behavioral social skills training and compensatory cognitive training for negative symptoms of psychosis: effects in a pilot randomized controlled trial. *Schizophrenia Bulletin*, 48(2), 359-370.

Gray, E., & Farrall, S. (2024). Life after crime and punishment? Lifestyles changes and quaternary desistance. *International Journal of Criminal Justice*, 6(1), 75-105.

Haqqani, J. A., Rezaei, I., & Sakineh, S. (2024). The Role of the Model of Ethnic Relations in Reducing Crime in Afghanistan. *International Journal of Multicultural and Multireligious Understanding*, 11(1), 49-57.

Herwina, W., Nurlaila, N., & Hamdan, A. (2022). Strengthening Individual Resilience Through Self-Reliance Building Programs on Prisons. *Edukasi*, 16(2), 78-89.

Iannello, N., Cricchio, M., Musso, P., Grattagliano, I., Inguglia, C., & Coco, A. (2023). Radicalization in Correctional Systems: A Scoping Review of the Literature Evaluating the Effectiveness of Preventing and Countering Interventions. *Journal for Deradicalization*, (34), 177-210.

Jones, C. (2014). Does alternative sentencing reduce recidivism? a preliminary analysis. *Xavier Journal of Politics*, 5, 2014-2015.

Kulud, V. (2018). Justitiisministeerium. Accessible: <http://www.vangla.ee/et/uudised-ja-arvud/vangistuse-kulud>, 1 May 2018.

- Kurniawan, H., Handayani, L. T., Florensia, F., Wahyuni, I. S., & Astutik, R. T. (2024). Studi Prevalensi dan Faktor Risiko Penyebaran Penyakit Tuberkulosis Paru pada Warga Binaan di Lembaga Pemasyarakatan Kelas IIA Jember. *PROFESSIONAL HEALTH JOURNAL*, 5(2), 462-466.

Lally, P., van Jaarsveld, C., Potts, H. & Wardle, J. (2010). How are habits formed: Modelling habit formation in the real world. *European Journal of Social Psychology*, 40, 998–1009.

Liu, H., Mok, Y. C., Lau, K. L., & Hou, W. K. (2023). Measuring everyday adaptation after imprisonment: The post-release living

inventory for ex-prisoners (PORLI-ex). *International Journal of Clinical and Health Psychology*, 23(2), 100352.

Looman, J., & Abracen, J. (2013). The risk need responsivity model of offender rehabilitation: Is there really a need for a paradigm shift?. *International Journal of behavioral consultation and therapy*, 8(3-4), 30.

Malakieh, J. (2020). Adult and youth correctional statistics in Canada, 2018/2019. Canadian Centre for Justice and Community Safety Statistics. Retrieved from <https://www150.statcan.gc.ca/n1/pub/85-002-x/2020001/article/00016-eng.htm>

Mahoney, I., & Chowdhury, R. (2024). Situating Holistic Approaches to Reducing Reoffending. (1-16) In: I. Mahoney & R. Chowdhury (Eds.). *Holistic Responses to Reducing Reoffending*. Taylor & Francis.

Martiros, N., Burgess, A. & Graybiel, A. (2018). Inversely active striatal projection neurons and interneurons selectively delimit useful behavioral sequences. *Current Biology*, 28(4), 560–573.

McGuire, N. (2022). *Investigating ways of improving psychosocial recovery from negative symptoms: the role of metacognition* (Doctoral dissertation, University of Glasgow).

Mundt, A., Cifuentes-Gramajo, P., Baranyi, G. & Fazel, S. (2024). Worldwide incidence of suicides in prison: a systematic review with meta-regression analyses. *The Lancet Psychiatry*, 11(7), 536-544.

Muthaphuli, P., & Bello, P. O. (2023). Exploring the Factors That Promote Recidivism in a Sample of Parolees. *International Journal of Social Science Research and Review*, 6(11), 457-467.

Pamungkas, A., Budi, Y., Seftianingtyas, W., Salanti, P., Devi, T., Muninggar, M., ... & Rudiyanto, R. (2024). Family support and coping strategies among female inmates: a cross-sectional study in penitentiaries. *Healthcare in Low-resource Settings*, 12(1).

Prescott, J. (2021). *'The Berwyn Way': A Qualitative Study of the Rehabilitative Model at HMP Berwyn.*

Razali, A., Mustaffa, J., & Kamsani, S. R. (2021). Reducing recidivism among former offenders: Strategies to increase success in social reintegration. *Turkish Online Journal of Qualitative Inquiry*, 12(3).

Rodríguez-Rivas, M., Cangas, A., Martin, A., Romo, J., Pérez, J., Valdebenito, S., ... & Corrigan, P. (2024). Reducing stigma toward people with serious mental illness through a virtual reality intervention: a randomized controlled trial. *Games for Health Journal*, 13(1), 57-64.

Rodríguez-Lirón, A., Muro-Celma, C., Hernández-Sánchez, F., Sampedro-Vidal, M. & Peraire, M. (2024). Suicidal ideation among prisoners: analysis with a gender perspective in a five-year follow-up (2017-2022). *Rev Esp Sanid Penit*, 26(1), 24-32.

Rude, E. & Shaddy, F. (2024). People Endorse Harsher Policies in Principle Than in Practice: Asymmetric Beliefs About Which Errors to Prevent Versus Fix. *Psychological Science*, 35(5), 529-542.

Rushchenko, J. (2018). *Prison Management of Terrorism-related Offenders: Is Separation Effective?*. London: The Henry Jackson Society.

Rymenans, I., Vanovenberghe, C., Du Bois, M., Van den Broeck, A., & Lauwerier, E. (2024). Process evaluation of a motivational interviewing intervention in a social security setting: a qualitative study among work-disabled patients. *Journal of Occupational Rehabilitation*, 34(1), 141-156.

Rymenans, I., Vanovenberghe, C., Du Bois, M., Van den Broeck, A., & Lauwerier, E. (2024). Process evaluation of a motivational interviewing intervention in a social security setting: a qualitative study among work-disabled patients. *Journal of Occupational Rehabilitation*, 34(1), 141-156.

Sanjanaa, G., et al. (2024). *Community Reintegration for Prison Inmates Through Multimodal Service Delivery Approach: A Systematic Review. International Journal of Multidisciplinary Research & Reviews*, 103(1),129-141.

Sarpourian, F., Sharifian, R., Poursadeghfard, M., Khayami, S. & Erfannia, L. (2024). Comparison of the Clinical Effectiveness of Telerehabilitation with Traditional Rehabilitation Methods in Multiple Sclerosis Patients: A Systematic Review. *Telemedicine and e-Health*.

Serin, R. & Lloyd, C. (2017). Understanding the Risk Need, Responsivity (RNR) model and crime desistance perspective and integrating them into correctional practice.

Syrbe, H. (2020). Theatre Projects in Prisons (85-108) In: P. Meringolo (Ed). *Preventing Violent Radicalisation in Europe: Multidisciplinary Perspectives*. Cham: Springer.

Terrill, D. J., & Chowdhury, R. (2024). Muslim Males and Forensic Mental Health: Current Challenges and the Value of Cultural Competence. (121-142) In: I. Mahoney & R. Chowdhury (Eds.). *Holistic Responses to Reducing Reoffending*. Taylor & Francis.

Till, G., Shah-Beckley, I., Harvey, J., & Kells, M. (2024). Prison officers' experiences of key-working with women living in a psychologically informed planned environment (PIPE). *The Journal of Forensic Practice*

Turley, C., Payne, C. & Webster, S. (2013). *Enabling features of psychologically informed planned environments*. London: National Offender Management Service.

VandenBos, G. (Ed)(2015). *APA dictionary of psychology*. Washington: American Psychological Association, 2 nd Ed.

Wood, W., Quinn, J. & Kashy, D. (2002). Habits in everyday life: Thought, emotion, and action. *Journal of Personality and Social Psychology*, 83(6), 1281–1297.

Woodall, J. (2024). What works to promote staff health in prison settings: a systematic review. *International Journal of Prison Health*, DOI 10.1108/IJOPH-11-2023-0082.

Zatkin, J., Sitney, M., & Kaufmann, K. (2021). The relationship between policy, media, and perceptions of sexual offenders between 2007 and 2017: A review of the literature. *Trauma, Violence, & Abuse*, 23(3), 953-968.

Zeccola, J., Kelty, S. & Boer, D. (2021). Does the good lives model work? A systematic review of the recidivism evidence. *The Journal of Forensic Practice*, 23(3), 285-300.

Zidenberg, A., Harkins, L., Shatokhina, K., & Loney, D. (2024). Reliability and Validity of the Measure of Life Priorities: A Questionnaire Based on the Good Lives Model. *Journal of Forensic Psychology Research and Practice*, 1-22.

Yin, H., & Knowlton, B. (2006). The role of the basal ganglia in habit formation. *Nature Reviews Neuroscience*, 7, 464–476.

Prisoner Rehabilitation: Its Importance and General Foundations

Summary

This article presents the health, psychological, social and economic risks of custodial punishment, the development of the concept of prisoner rehabilitation, and its relationship to overlapping concepts. It also presents the theoretical models on which it is based and the principles guiding it, including: reshaping prisoners' habits by activating their motivation to change, distinguishing between their categories and choosing appropriate rehabilitation programs and the ethics governing their practice.

Keywords: Recidivism - Desistance - Prisoner rehabilitation - Social reintegration.